رحمة ... لا ذبيحة

«إن أريد رحمة ، لا ذبيحة ...
لأني لم آت لأدعو أبراراً ، بل خطاة
إلى التوبة»

(مت ٩ : ١٣)

«كان يجالس الفقراء ويستمع إلى شكاتهم فقد كان فقيراً ، ويحادث الخاطئين دون أن يلتفت إلى نظرات الاستنكار التي تُصوّب إليه - ولم يكن خطّاء بل كان ذا قلب كبير ! كان إنساناً يغفر ضعف الإنسان !!

أصغى إلى الكتبة والفريسيين ولكنه لم ينفعل لمواعظهم ، فكلماتهم تخرج من الفم ، كلمات ميّتة بلا روح فلا تجد طريقها إلى القلب ..

الفريسيون ينطلقون في الطرقات يتحسّسون على الفقراء ليتحقّقُوا من طهارة ثيابهم ومنازلهم وحوانيتهم !! ولكنهم لا يهتمون كثيراً بطهارة النفس ، فالفواحش تُرتكب دون أن يُحرّكوا ساكناً ، فإنما كل ما يهمهم نظافة الثوب ! وأصغى إلى كبار الحاخامين في المعبد في موسم الحج فألفى شريعة موسى قد عُقّدت وتفرعت مذاهب ، فما يحلّله (هلل) يحرّمه (شماى) ، فأعرض عن حلقات السفسطة والجدل ومعارض الكلام ، وأقبل بنفس متفتحة على الكون - يغترف علماً وحكمة من معينه الرقراق ... ».

«أورشليم غارقة في المشاحنات الدينية ...

وبنو إسرائيل يرسفون في أغلال الكهنة راضين ، قد ثبّتوا في أذهانهم أنّ الله اختارهم لحفظ الدين والناموس !! راحوا يشغلون الناس بالمحظورات والمحرّمات ، ويسقمونها إلى أقسام ودرجات :

فشماى في تزمته يمنع في يوم السبت عيادة المريض ، بل يحرم فيه الدفاع عن النفس وقتال الأعداء - وإن جاءوا للبلاد محتلّين ، والشيوخ يُحرِّمون حمل شيء فيه وإن كان إبرة أو كان قطعة من قماش زينت ثوب امرأة ولم تُثَبَّت فيها - حتى الأسنان الصناعية !!

أظهروا التقشّف رياء للناس ، حتى أنّ فريق (الجباه الدامية!) من الفريسيين ، كانوا ينطلقون في الطرقات مغمضي العيون - لكيلا تقع عيونهم على النساء ! فيتخبّطون في سيرهم وبالجدران يرتطمون ، فتسيل الدماء على الجباه إرضاء للناموس !!!

إذا جاع يهودي يوم السبت - ولم يكن عنده ما يأكله - فخيرٌ له أن يموت جوعاً من أن يطهو طعامه ويكسر السبت ، لأنّ كاسر السبت يستحق الرجم .. وأما من مات في سبيل حفظه فهو شهيد »[1]!!

هذه صورة من قلم الأدبي عبدالحميد السحار ، للقوم الذين سوف يستقبلون المسيح ورسالة المسيح ...

وانطلق المسيح يُبشِّر برسالته ، بعد أن تقدَّمه صوت يوحنا الصارخ النذير..

تدفّقت المواعظ من فمه ساحرة أخّاذة ، جديدة على قوم ألفوا الكلام في الطقوس والمراسم لا غير ، غريبة لأنّ فيها حياة إذ تصدر من قلب فياض بالحياة : «فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أُشَبِّهُهُ برجل عاقل بنى بيته على الصخر ، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبّت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط ، لأنه كان مؤسَّساً على الصخر .. وكل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها يُشبَّه برجل جاهل بنى بيته على الرمل ، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبَّت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط ، وكان سقوطه عظيماً !! » (مت ٧ : ٢٤ - ٢٧) .

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

---

١ - السحار : المسيح عيسى ابن مريم ص ٥٢ ، ١٤٠ ،

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٩، ١١٠].

وكان لابَد أن تحدث مقارنة سريعة في أدمغة السامعين بين ما يسمعون وما كانوا يسمعون !! «فلما أكمل يسوع هذه الأقوال - بُهتت الجموع من تعاليمه، لأنّه كان يعلمهم كمن له سلطان، وليس كالكتبة» (مت ٧: ٢٨-٢٩، لو ٤: ٣٢)!!.

وهل يطيق الذين عاشوا على أن يسمع الناس لهم وحدهم، انطلاقة هذا الصوت الجديد ؟؟

هل يصبرون على انقياد الشعب لغيرهم، وإصغائه لصوت غير صوتهم؟؟

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

لقد بدأت حملة التشويش ضدّ الصوت الجديد ...

«وبينما هو متّكئ في البيت، إذا عشّارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتّكأوا مع يسوع وتلاميذه، فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه: لماذا يأكل معلّمكم مع العشّارين والخطاة، فلما سمع يسوع قال لهم: لا يحتاج الأصحّاء إلى طبيب -بل المرضى !!

فاذهبوا وتعلّموا ما هو: **إني أريد رحمة لا ذبيحة ... لأني لم آت لأدعو أبراراً، بل خطاة إلى التوبة !!**».

«لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب، فيقولون: فيه شيطان! جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب، فيقولون: هوذا إنسان أكول وشريب خمر، محب للعشّارين والخطاة!!» (مت: ٩: ١٠-١٣، ١١: ١٨-١٩، مر ٢: ١٥-١٧، لو ٥: ٢٩-٣٢، ٧: ٣٣-٣٤).

﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩ ..... وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٧ - ٩، ٢٠].

بدأوا إذن يغمزون المسيح بغمز أتباعه، لكنّ إجابة المسيح كانت مفحمة، من يدعو إذن: إذا كان سيتجنّب من هم في أمسّ الحاجة للهداية؟ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢]....

وقال المسيح قولته الصادعة: إنّه يريد رحمة لا ذبيحة: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٣٦ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ۝٣٧﴾ [الحج: ٣٦، ٣٧].

فيهاجم المتربّصون تعاليم المسيح بعد أن أفلسوا في النيل من سيرته ومسلكه: «حينئذ جاء إلى يسوع كتبة وفريسيون الذين من أورشليم قائلين: لماذا يتعدّى تلاميذك تقليد الشيوخ - فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزاً؟! فأجاب وقال لهم: وأنتم أيضاً تتعدّون وصيّة الله بسبب تقليدكم، فإنّ الله أوصى قائلاً: أكرم أباك وأمك، ومن يشتم أباً أو أماً فليمت موتاً، وأما أنتم فتقولون: من قال لأبيه أو أمه قربان هو الذي تنتفع به مني فلا يُكرم أباه أو أمه - فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم! يا مراءون، حسناً تنبّأ عنكم أشعياء قائلاً: يقترب إليَّ هذا

الشعب بفمه وكيرمني بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً ، وباطلاً يعبدونني وهم يعلّمون تعاليم هي وصايا الناس » (مت ١٥ : ١-٩ ، مر ٧ : ١-١٣) .

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف : ٣] ! ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة : ٤٤] ! ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام : ٩١] ! .

كان المسيح في واد ، و (الطقوسيون) الشكليون الجامدون في واد آخر ... «لأنّ الفريسيين وكلّ اليهود إن لم يغسلوا أيديهم باعتناء لا يأكلون ... ومن السوق إن لم يغتسلوا لا يأكلون ، وأشياء أخرى كثيرة تسلّموها للتمسك بها - من غسل كئوس وأباريق وآنية ونحاس وأسرة!! » (مر ٧ : ٣-٤).

وتكلّم المسيح بلسانه وأعماله ... كان يُبرئ الأكمه والأبرص ويُحيي الموتى بإذن الله : «يطوف المدن كلها والقرى يُعلّم في مجامعها ، ويُكرّز ببشارة الملكوت ، ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب . ولما رأى الجموع تحنّن عليهم ، إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها » (مت ٩ : ٣٥ - ٣٦) .

واليهود يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، فهو لا يَدَعُون معجزات المسيح تَشْدَهُ الأبصار دون تمويه أو تشويه ..

«أما الفريسيون فلما سمعوا قالوا : هذا لايخرج الشياطين إلا ببعلزبول - رئيس الشياطين ! فعلم يسوع أفكارهم وقال لهم : كلّ مملكة منقسمة على ذاتها تخرب ، وكلّ مدينة أو بيت منقسماً على ذاته لا يثبت ، فإن كان الشيطان يُخرج الشيطان فقد انقسم على ذاته - فكيف تثبت مملكته ؟ وإن كنت أنا ببعلزبول أُخرج الشياطين ، فأبناؤكم بمن يُخرجون ، لذلك هم يكونون قضاتكم ! ولكن إن كنت أنا بروح الله

أُخرج الشياطين ، فقد أقبل عليكم ملكوت الله . أم كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القويّ وينهب أمتعته إن لم يربط القويّ أولاً ، وحينئذ ينهب بيته؟؟ » (مت ١٢ : ٢٤-٢٩ ، مر ٣ : ٢٢-٢٧) .

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجر : ١٠ - ١٥] .

لم يسعفهم المنطق ، فليسعف اللمز والتنابز بالأصول والأحساب : «ولما جاء إلى وطنه كان يعلّمهم في مجمعهم حتى بُهِتُوا ، وقالوا : من أين لهذا هذه الحكمة والقوّات ؟ أليس هذا ابن النجار ؟ أليست أمه تدعى مريم ، وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ؟؟ أو ليست أخواته جميعهن عندنا - فمن أين لهذا هذه كلها ؟؟ فكانوا يعثرون به . وأما يسوع فقال لهم : **ليس نبيّ بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته** ، ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم! » «فجاء الخدّام إلى رؤساء الكهنة والفريسيين ، فقال هؤلاء لهم : لماذا لم تأتوا به ؟ أجاب الخدّام : لم يتكلّم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان ؟ فأجابهم الفريسيون : ألعلكم أنتم أيضاً قد ضللتم ، ألعل أحداً من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به ؟ ولكنّ هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون . قال لهم نيقوديموس - الذي جاء إليه ليلاً وهو واحد منهم : ألعلّ ناموسنا يدين إنسانًا لم يسمع منه أوّلاً ويعرف ماذا يفعل ؟؟ أجابوا وقالوا له: ألعلّك أنت من الجليل ؟ فتش وانظر : إنّه لم يقم نبيّ من الجليل»!!

«فيلبس وجد نثنائيل وقال له : وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء - يسوع بن يوسف الذين من الناصرة . فقال له نثنائيل : أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟ » (مت ١٣ : ٥٤ - ٥٨ ، مر ٦ : ٢-٦ ، يو ٧ : ٤٥ - ٥٢ ، ١ : ٤٥ - ٤٦).

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف : ٣٠ - ٣٢] .

هل فرغت جعبة المعترضين؟

لقد أعيتهم الحيل وأجهدتهم المراوغة ، فأقبلوا مباشرة إلى المسيح يستفسرون ويتساءلون ، ومن ثنايا الحديث يتصيَّدون الألفاظ ويُؤَوِّلون الكلمات ... وردّ عليهم المسيح سؤالهم بسؤال ، فكان الهجوم أحسن طرائق الدفاع !!!

«وقف رؤساء الكهنة والكتبة مع الشيوخ وكلَّموه قائلين : بأيّ سلطان تفعل هذا ، أو من هو الذي أعطاك هذا السلطان ؟ فأجاب وقال لهم : وأنا أيضاً أسألكم كلمة واحدة ، فقولوا لي : معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس ؟ فتآمروا فيما بينهم قائلين : إن قلنا من السماء - يقول : فلماذا لم تؤمنوا به ، وإن قلنا من الناس - فجميع الشعب يرجموننا لأنهم واثقون بأنّ يوحنا نبي ! فأجابوا : أنهم لا يعلمون من أين ، فقال لهم يسوع : وأنا لا أقول لكم بأي سلطان أفعل هذا » (مت ٢١ : ٢٣-٢٧ ، مر ١١ : ٢٧-٣٣ ، لو ٢٠ : ١-٨) .

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم : ١٠ ، ١١] .

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٤].

وجاءت مسألة (السبت) محكّاً للجدل ومثاراً للنقاش ..

ومسألة السبت هذه تعرّض لها القرآن مرات : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة : ٦٥] ، ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف : ١٦٣] ! ، ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل : ١٢٤].

ورغم أنّ فكرة الراحة الإجبارية في اليوم السابع وارتباطها بخلق الكون في ستة أيام فكرة غريبة عن الأصول الإسلامية الثابتة - فيما أعلم ، إذ الجمعة عند المسلمين يوم صلاة جامعة لا يوم راحة مفروضة ، فإنّ المفسرين قد أوردوا في تفسير هذه الآيات ما عرفوه عن أهل الكتب . قال ابن كثير : «لاشكّ أنّ الله تعالى شرع في كل ملّة يوماً من الأسبوع يجتمع الناس فيه للعبادة ، فشرع تعالى لهذه الأمة يوم الجمعة لأنه اليوم السادس الذي أكمل الله فيه الخليقة واجتمعت فيه وتمّت النعمة على عباده ... واختاروا - بنو إسرائيل - السبت لأنّه اليوم الذي لم يخلق فيه الرب شيئاً من المخلوقات التي كمل خلقها يوم الجمعة ، فألزمهم تعالى به في شريعة التوراة ووصّاهم أن يتمسكوا به وأن يحافظوا عليه ... يقول تعالى : (ولقد علمتم) - يا معشر اليهود ما حلّ من البأس بأهل القرية التي عصت أمر الله وخالفوا عهده وميثاقه فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره إذ كان مشروعاً لهم ،

فتحيَّلوا على اصطياد الحيتان يوم السبت بما وضعوا لها من الشصوص والحبائل قبله ... إلخ »[1] .

وأثيرت مسألة السبت في وجه المسيح ، أثارها (الطقوسيون) المتزمّتون ...

«في ذلك الوقت ذهب يسوع في السبت بين الزروع ، فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون ، فالفريسيون لما نظروا قالوا له : هو ذا تلاميذك يفعلون ما لا يحلّ فعله في السبت !! فقال لهم : أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه ، كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحلّ أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط ؟ أو ما قرأتم في التوراة أنّ الكهنة في السبت في الهيكل يدنّسون السبت وهم أبرياء ؟؟ ولكن أقول لكم : **إنّ ههنا أعظم من الهيكل ، فلو علمتم ما هو : إني أريد رحمة لا ذبيحة ، لما حكمتم على الأبرياء ، فإنّ ابن الإنسان هو ربّ السبت أيضاً** . ثم انصرف من هناك وجاء إلى مجمعهم ...

وإذا إنسان يده يابسة ، فسألوه قائلين : هل يحلّ الإبراء في السبوت ؟ - لكي يشتكوا عليه . فقال لهم : أيّ إنسان منكم يكون له خروف واحد ، فإن سقط هذا في السبت في حفرة - أفما يمسكه ويقيمه ؟ فالإنسان كم هو أفضل من الخروف !! إذن يحل فعل الخير في السبُوت . ثم قال للإنسان مدّ يدك فمدّها ، فعادت صحيحة كالأخرى »! «ثم قال لهم : **السبت إنما جُعِلَ لأجل الإنسان ، لا الإنسان لأجل السبت ، إذ أنّ الإنسان هو رّب السبت أيضاً !!**»

السبت لأجل الإنسان ، لا الإنسان لأجل السبت ...

---

١ - تفسير ابن كير : طبعة الحلبي ج٢ ص٥٩١ ، ج١ ص ١٠٥ .

حقيقة كبرى هي حقيقة الأديان كلها ! فالعبرة بالجوهر ، والعبادات وسائل لترقية الإنسان وتهذيبه ، لا لإعناته وإشقائه ، فما جعل الله في الدين من حرج ، ولا يُكلِّف نفساً إلا وسعها ...

لكن الذين حصروا أنفسهم في الأشكال هم أبعد عن تذوّق الروح ، إنهم يختنقون خارج مراسمهم اليابسة !! إنّهم يظنون الله كملوك الأرض الذين يزحمون قصورهم بالمظاهر ويتشدّدون في قواعد البروتوكول : «وكان الكتبة والفريسيون يراقبونه : هل يشفى في السبت - لكي يجدوا عليه شكاية ، أما هو فعلم أفكارهم.. ثم قال لهم يسوع : أسألكم شيئاً - **هل يحلّ في السبت فعل الخير أو فعل الشر ، تخليص نفس أو إهلاكها ؟؟**» (مت ١٢ : ١-١٣ ، مر ٢ : ٢٣-٢٨ ، ٣ : ١-٦ ، لو ٦ : ١-١١ ، ١٤ : ١-٦).

وأعجب العجائب أن يكون جزاء من يشفي الناس .. القتل ، ما دام يشفيهم يوم سبت ! فهذه شرعة الإنصاف والطاعة كما يفهمها اليهود : «ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه ، لأنه عمل هذا في سبت ! فأجابهم يسوع : أبي يعمل حتى الآن ، وأنا أعمل . »، «ففي السبت تختنون الإنسان ... فإن كان الإنسان يقبل الختان في السبت لئلا ينقض ناموس موسى ، أفتسخطون عليّ لأني شفيت إنساناً كلّه في السبت !! لاتحكموا حسب الظاهر ، بل احكموا حكماً عادلاً» (يو ٥ : ١٦-١٧ ، ٧ : ٢٣ - ٢٤) !!

ولكن كيف يأتي العدل ممن بدّد نعمة العقل : «فأتوا إلى الفريسيين بالذي كان قبلاً أعمى ، وكان سبت حين صنع يسوع الطين وفتح عينيه . فسأله الفريسيون أيضاً : كيف أبصر ؟ فقال لهم : وضع طيناً على عيني ، واغتسلت فأنا أبصر !! فقال قوم من الفريسيين : هذا الإنسان ليس من الله - لأنّه لايحفظ السبت ! آخرون قالوا : كيف يقدر إنسان خاطئ أن يعمل مثل هذه الآيات ، وكان بينهم انشقاق!! » (يو ٩ : ١٣-١٦) .

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١].

هؤلاء يريدون أن يموت الناس من الجوع أو المرض، ولا يمدّ إليهم أحد يداً - توقيراً ليوم السبت !!

حدّث جابر قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجر فشجّه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه: هل تجدون رخصة في التيمّم! فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء - فاغتسل فمات! فلما قدمنا على رسول الله أُخْبِرَ بذلك، فقال: قتلوه، قتلهم الله !! ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العيّ السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمّم[1].

وهرش المعترضون رءوسهم ليتابعوا مراءهم: «وجاء إليه الفريسيون ليجرّبوه قائلين له: هل يحلّ للرجل أن يطلّق امرأته لكلّ سبب؟ فأجاب وقال لهم: أما قرأتم أنّ الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى؟ وقال: من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته و يكون الاثنان جسداً واحداً، إذن ليسا بعد اثنين بل جسد واحد، فالذي جمعه الله لا يفرّقه إنسان.

قالوا له: فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلّق؟ قال لهم: إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلّقوا نساءكم، ولكن من البدء لم يكن هكذا. وأقول لكم: إنّ من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني، والذي يتزوج بمطلّقة يزني!

قال له تلاميذه: إن كان هذا أمر الرجل مع المرأة، فلا يوافق أن يتزوّج! فقال لهم: ليس الجميع يقبلون هذا الكلام - بل الذي أُعطي لهم، لأنه يوجد خصيان

---

١ - رواه أبو داود وابن ماجه والدارقطني وصححه ابن السكن.

وُلدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات ، ومن استطاع أن يقبل فليقبل » (مت ١٩ : ٣-١٢ ، مر ١٠ : ٢-١٢) .

هل انقطعت الأسئلة ؟؟

... ما زالت هناك فرصة في الأحاجي والألغاز : «في ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون -الذين يقولون ليس قيامة ، فسألوه قائلين : يا معلّم ، قال موسى : إن مات أحد وليس له أولاد ، يتزوّج أخوه بامرأته ويقيم نسلاً لأخيه . فكان عندنا سبعة إخوة وتزوّج الأول ومات ، وإذ لم يكن له نسل ترك امرأته لأخيه ، وكذلك الثاني والثالث إلى السبعة . وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً ، ففي القيامة لِمَن من السبعة تكون زوجة - فإنها كانت للجميع ؟ فأجاب يسوع وقال لهم : تضلّون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوّة الله ، لأنّهم في القيامة لا يُزوِّجُون ولا يتزوَّجون ، بل يكونون كملائكة الله في السماء ! وأما من جهة قيامة الأموات : أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل : أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب ، ليس الله إله أموات بل إله أحياء - فلمّا سمع الجموع بهتوا من تعليمه! .

أما الفريسيون فلما سمعوا أنّه أبكم الصدوقيين اجتمعوا معاً ، وسأله واحد منهم وهو ناموسي ليجرّبه قائلاً : يا معلّم ، أيَّة وصية هي العظمى في الناموس ؟ فقال له يسوع : تحبّ الرب إلهك من كل قلبك ومن كلّ نفسك ومن كل فكرك - هذه هي الوصية الأولى والعظمى ، والثانية مثلها : تحبّ قريبك كنفسك - بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء »، «فقال له الكاتب : جيداً يا معلّم بالحق قلت ، لأنّه الله واحد وليس آخر سواه ، ومحبّته من كلّ القلب ومن كلّ الفهم ومن كلّ النفس ومن كل القدرة ، ومحبّة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح ، فلما رآه يسوع أجاب بعقل

قال له : ليست بعيداً عن ملكوت الله ، ولم يجسر أحد بعد ذلك أن يسأله » (مت ٢٢ : ٢٣-٤٠ ، مر ١٢ : ١٨-٣٤ ، لو ٢٠ : ٢٧-٤٠).

وفي الإسلام نهيٌ عما يُسمَّى (بالأغلوطات) في اصطلاح الفقه الإسلامي : وهي المسائل التي لم تقع أو الفروض بعيدة التحقّق ، فقد ورد في القرآن : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة : ١٠١] . وفي الحديث النبوي : «إنّ الله فرض فرائض فلا تضيّعوها ، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها ، و حرّم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها». «أعظم الناس جرماً من سأل عن شيء لم يُحَرَّمْ ، فَحُرِّمَ من أجل مسألته»[1].

هنالك لم يبق للهادي في قوس الصبر منزع ...

انطلق المسيح يرسل على هؤلاء الشكليين شواظاً من نار ، ويكشف حقيقتهم عارية سافرة بغير تزويق ...

هؤلاء الذين يحصرون جهودهم في الطقوس والشكول ، وما من دين إلا وله مناسكه وشعائره ، لكنّها تُبتغى رمزاً وتذكرة !! ... هؤلاء الذين يقصرون العبادة على طهارة البدن وأداء المراسم وحفظ (تقليد الشيوخ!) ، وما من دين إلا وله أحكامه في الطهارة ومقدساته ومأثوراته ، لكنّ مقصود ذلك كله طهارة الروح ، طهارة الفكر والوجدان !! ... فإذا بالوسائل تنقلب في أيدي هؤلاء إلى غايات ، والرموز تتحوّل إلى أصول : «أنتم الآن أيها الفريسيون تُنَقُّون الكأس والقصعة ، وأما باطنكم فمملوء اختطافاً وخبثاً ! يا أغبياء ، أليس الذي صنع الخارج صنع

---

١ - الأحاديث واردة في تفسير ابن كثير للآية (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ .....) : - طبعة الحلبي - ج٢ ص ١٠٦.

الداخل أيضاً ؟ بل أعطوا ما عندكم صدقة فهو ذا كل شيء يكون نقيّا لكم ، ولكن ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تعشّرون النّعنع والسّذاب وكلّ بقل ، وتتجاوزون عن الحق ومحبة الله !! كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك . ويل لكم أيها الفريسيون ، إنكم تحبون المجلس الأول في المجامع والتحيات في الأسواق ! ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراءون ، لأنكم مثل القبور المختفية والذين يمشون عليها يعلمون !

فأجاب واحد من الناموسيين وقال : يا معلّم ، حين تقول هذا أتشتمنا نحن أيضاً ! فقال : وويل لكم أنتم أيها الناموسيون ، لأنكم تُحَمِّلون الناس أحمالاً عسرة الحمل ، وأنتم لا تمسُّون الأحمال بإحدى أصابعكم !! ويل لكم ، لأنكم تبنون قبور الأنبياء ، وآباؤكم قتلوهم !! إذن تشهدون وترضون بأعمال آبائكم ، لأنهم هم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم ! لذلك أيضاً قالت حكمة الله : إني أرسل إليهم أنبياء ورسلاً فيقتلون منهم ويطردون ، لكي يُطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ إنشاء العالم ... ويل لكم أيها الناموسيون ، لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة – وما دخلتم أنتم ، والداخلون منعتموهم ! » (لو ١١ : ٣٩-٥٢) .

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة : ٥ – ٨] .

وأقبل المسيح يشرح حقيقة الطهارة : «ثم دعا الجمع وقال لهم : اسمعوا وافهموا ، **ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان ، بل ما يخرج من الفم هذا ينجس**

الإنسان ! حينئذ تقدّم تلاميذه وقالوا له : أتعلم أنّ الفريسيين لما سمعوا القول فروا؟ فأجاب وقال : كلّ غرس لم يغرسه أبي السموي يُقلع ! اتركوهم ، هم عميان قادة عميان ، وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة !! فأجاب بطرس وقال له : فسّر لنا هذا المثل . فقال يسوع : هل أنتم أيضاً حتى الآن غير فاهمين ؟ ألا تفهمون بعد أنّ كل ما يدخل الفم يمضي إلى الجوف ويندفع إلى المخرج ، وأما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر - وذاك ينجس الإنسان ، لأنّ من القلب تخرج أفكار شريرة : قتل ، زنى ، فسق ، سرقة ، شهادة زور ، تجديف - هذه هي التي تنجس الإنسان ، وأما الأكل بأيد غير مغسولة فلا ينجس الإنسان » (مت ١٥ : ١٠ - ٢٠ ، مر ٨ : ١٤ -٢٣) .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المائدة : ٨٧ ، ٨٨] . ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف : ٣٢ ، ٣٣] . ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل : ١١٦] . ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ ؟! [يونس : ٥٩] .

وخشى المسيح أن تتجمّد رسالته في أيدي أتباعه كما تجمّدت اليهودية عند اليهود ، وأشفق عليهم أن يتّبعوا سنن الذين من قبلهم - حتى لو دخلوا جحراً لدخلوه : «وقال يسوع : انظروا وتحرّزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين . ففكّروا في

أنفسهم قائلين : إنّنا لم نأخذ خبزاً ؟! فعلم يسوع ، وقال لهم : لماذا تفكّرون في أنفسكم يا قليلي الإيمان أنّكم لم تأخذوا خبزاً ، أحتى الآن لا تفهمون ، ولا تذكرون ؟! ... كيف لا تفهمون أنّي ليس عن الخبز قلت لكم أن تتحرّزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين؟ حينئذ فهموا أنّه لم يقل أن تحرّزوا من خمير الخبز ، بل من تعليم الفريسيين والصدوقيين » (مت ١٦ : ٦-١٢) ...

وهكذا كاد أتباع المسيح أنفسهم أن يصيروا حرفيين شكليين ، فهم يغفلون عن المجاز الرائع في كلمات المسيح !

«ابتدأ يقول لتلاميذه : أوّلاً تحرّزوا لأنفسكم من خمير الفريسيين الذي هو الرياء ، فليس مكتوم لن يستعلن ولا خفي لن يُعرف ، لذلك كل ما قلتموه في الظلمة يُسمع في النور ، وما كلّمتم به الأذن في المخادع يُنادى به على السطوح » (لو ١٢ : ٢) .

ثم أنذر المسيح هؤلاء الجاحدين الجامدين .. «.. قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتب ، الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا ، لذلك أقول لكم : **إنّ ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره** ، ومن سقط على هذا الحجر يترضّض ومن سقط عليه يسحقه ... ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلّم عليهم ، وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع - لأنّه كان عندهم مثل نبي » (مت ٢١ : ٤٢-٤٦ ، مر ١٢ : ١٠-١٢ ، لو ٢٠ : ١٧-١٩) .

«حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً :

على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكلّ ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا - لأنهم يقولون ولا يفعلون ، فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس ، وهم لا يريدون

أن يُحَرِّكُوّها بإصبعهم ! وكلّ أعمالهم يعملونها لكي ينظرهم الناس ، فيعرِّضون عصائبهم ، ويعظّمون أهداب ثيابهم ، ويحبّون المتكأ الأول في الولائم والمجالس الأولى في المجامع ، والتحيّات في الأسواق ، وأن يدعوهم الناس : سيدي سيدي ! وأما أنتم فلا تُدْعَوْا سيدي - لأنّ معلّمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً إخوة ، ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات ، ولا تُدْعَوْا معلّمين لأنّ معلّمكم واحد المسيح ، وأكبركم يكون خادماً لكم ، **فمن يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع** ..

لكن ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، **لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدّام الناس ، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون** ! ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ولِعلَّةٍ تُطيلون صلواتكم ، لذلك تأخذكم دينونة أعظم !

ويلٌ لكن أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تطوفون البحر والبرّ لتكسبوا دخيلاً واحداً ، ومتى حصل تصنعونه ابناً لجنهم أكثر منكم مُضاعفاً !! ويل لكم أيها القادة العميان القائلون : من حلف بالهيكل فليس بشيء ، ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم !! أيها الجهّال والعميان ، أيُّما أعظم : الذهب أم الهيكل الذي يقدس الذهب ؟؟ ... ومن حلف المذبح فليس بشيء ، ولكن من حلف بالقربان الذي عليه يلتزم !! أيها الجهّال والعميان ، أيُّما أعظم : القربان أم المذبح الذي يقدّس القربان ؟؟ ... فإنّ من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه ، ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه ، ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه ...

ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تُعَشِّرُون النعنع والشبث والكمّون ، وتركتم أثقل الناموس : الحق والرحمة والإيمان ! كان ينبغي أن تعملوا

هذه ولا تتركوا تلك ! أيها القادة العميان الذين يُصَفُّون البعوضة ويبلعون الجمل ! ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم **تنقّون الكأس والصحفة وهما من داخل مملوءون اختطافاً ودعارة ...** » (مت ٢٣ : ١-٢٥ ، أيضاً أجزاء في مر ١٢ : ٣٨-٤٠ ، لو ١١ : ٣٧-٥٢ ، ٢٠ : ٤٥-٤٧) .

قذائف متتابعة ، كلها محكمة التصويب ! .

وقد تابع رسل المسيح تعاليمه ، ليضعوا عن الناس إصرهم والأغلال التي كانت عليهم : ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران : ٥٠] .

«فقال بطرس : كلا يا رب لم آكل قط شيئاً دنساً نجساً ، فصار إليه أيضاً صوت ثانية : **ما طهّره الله لا تُدَنِّسُهُ أنت** . وكان هذا على ثلاث مرات» ، «فقال لهم : أنتم تعلمون كيف هو محرّم على رجل يهودي أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتي إليه ، وأما أنا فقد أراني الله أن لا أقول عن إنسان ما إنّه دنس أو نجس »، «**لا تنقض لأجل الطعام عمل الله : كلّ الأشياء طاهرة ، لكنه شرّ للإنسان** الذي يأكل بعثرة» (أعمال ١٠ : ١٥-١٦ ، ١١ : ٨-٩ ، ١٠ : ٢٨ ، روميه ١٤ : ٢٠) .

وقد واجه رسل المسيح في طريقهم مسألة الختان ، كما واجه المسيح من قبلهم مسألة السبت ، ونازعهم في هذا فريسيون أيضاً : «ولكن قام أناس من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين . وقالوا : إنّه ينبغي أن يختتنوا ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى . فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا في هذا الأمر ، فبعد ما حصلت مباحثة كثيرة قام بطرس وقال لهم : أيها الرجال الإخوة ، أنتم تعلمون أنه عند أيام قديمة اختار الله بيننا أنّه بفمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون ، والله العارف القلوب شهد لهم معطياً الروح القدس كما لنا أيضاً ، ولم يميّز بيننا وبينهم بشيء إذ طهّر بالإيمان قلوبهم .

فالآن ، لماذا تُجَرِّبُون الله بوضع نير على عنق التلاميذ - لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله ؟ لكن بنعمة الربّ يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضاً فسكت الجمهور كله »، «**فإنّ الختان ينفع إن عملت بالناموس ، ولكن إن كنت متعدّياً الناموس فقد صارختانك غُرلة** . إذن إن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس ، أفما تحسب غرلته ختاناً ؟ وتكون الغُرلة التي من الطبيعة وهي تكمل الناموس تدينك أنت الذي في الكتاب والختان تتعدّى الناموس ؟ لأنّ اليهودي في الظاهر ليس هو يهوديًّا ، ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختاناً ، بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي ، **وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان** ، الذي مدحه ليس من الناس بل هو من الله »، «دُعي أحد وهو مختون فلا يصر أغلف ، دُعي أحد في الغُرلة فلا يختتن . ليس الختان وليست الغُرلة شيئاً بل حفظ وصايا الله . الدعوة التي دعى فيها كلّ واحد فيلبث فيها »، «**فاثبتوا في الحرية التي قد حرّرنا المسيح بها** ، ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية ! ها أنا بولس أقول لكم : إنه إذا اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً ، لكن أشهد أيضاً لكل إنسان مختتن أنّه ملتزم أن يعمل بكل الناموس . قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبرّرون بالناموس ، سقطتم من النعمة ، فإنّنا بالروح من الإيمان نتوقّع رجاء برّ ، لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة ، بل الإيمان العامل بالمحبة »، «جميع الذين يريدون أن يعملوا منظراً حسناً في الجسد هؤلاء يلزمونكم أن تختتنوا لئلا يُضطّهدوا لأجل صليب المسيح فقط ... لأنّه في المسيح ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة ، بل الخليقة الجديدة» (أعمال ١٥ : ٥-١١ ، رومية ٢ : ٢٥-٢٩ ، كورنثوس ٧ : ١٨-٢٠ ، غلاطية ٥ : ١-٦ ، ٦ : ١١-١٥) .

وأشهد أنّ كثيراً من أتباع الأديان السماوية في أمس الحاجة إلى تدبر وصايا المسيح ، ووصايا محمد ، ووصايا كل نبي يلفت المتدّينين إلى الجوهر لا المظهر ، وإلى اللباب دون القشور !! وأشهد أن دعوة الدين اليوم كثيراً ما تُشوّه بأيدي الجامدين الحرفيين (الطقوسيين) ، أكثر مما ينال منها الجاحدون والملحدون ..

ومن بين قومي - وهم الذين أنا أدرى بهم - من أرى منه استقصاء لمواعيد الصلوات الخمس بالدقيقة والثانية ، وضبطاً لمواعيد الفطر عند الصوم بالدقيقة والثانية ، ونقاشاً محتدماً يدور إذا اختلفت الساعات ، وتبادلاً لاتهام الساعات بالتلف والخسران !!

وكم من موسوس في الوضوء ، يكرّره مرات حتى يكاد يغرق نفسه في الماء ، لتكون قطرات الماء المتساقطة وثيابه المبتلّة شاهداً بإسباغِ الوضوء !!

وكم من موسوس في تحديد قبلة الصلاة ، هل هي بانحراف يسير أو كبير أو بغير انحراف ؟ ومن موسوس في تكبيرة الإحرام : هل تلفّظ النّية بلسان عربي مبين أم لا ، وهل كبَّر الله بحيث ترتجُّ الأرض أم لا ، وهل رفع اليدين حتى عركت الأذنين أم لا ؟؟ ..

وهؤلاء الذين يفعلون هذا كلّه ، ليس هناك بأس بأن يفعلوا ما يشاءون ، إن كانوا يُحصون ثرواتهم فيخرجون الزكاة للفقير بهذا التدقيق ، ويُنصفون الناس من أنفسهم بهذا الميزان ، ويحاسبون أنفسهم على الكلمة الطيبة والعمل الصالح مثل هذا الحساب ، أوشيئاً من هذا الحساب !! إنّ الذي فرض الصلاة لم يأمر بالصلاة فحسب ، لأنَّه لا يحاسب الناس على دقائق معدودات ، ثم يتركهم لانطلاقاتهم سائر الساعات الأربعة والعشرين !!

ولو كانت البيوت والمجتمعات تعمر بالتواصي بالحق وإشاعة الخير والتعاون على البر والتقوى كما تعمر المساجد والكنائس وسائر المعابد ، لأثرت الإنسانية من الذين ثراء بعيداً .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الجاثية: ١٦، ١٧]. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ** ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [البقرة: ٨٤ - ٨٦].

صراع طويل بين المسيح وخصومه ....

صراع بدأ بغمز سيرة المسيح، ثم تطرّق إلى نقد تعاليمه، ووصل إلى حدّ التهجّم على معجزاته وعلى شخصه، مع نثر الأسئلة بجانب نثر الأشواك، لعلّه يتعثّر باللسان إذا كان القدم لا يسير إلاّ إلى الخير والسلام !!

ماذا كانت نتيجة الصراع بين المظهر والجوهر، بين الشكول والأصول، بين التقاليد والروح ؟؟

ألقوا في طريقه (بفخ سياسي) ليوقعوه بفلتة لسان، فردّ الكرة إليهم في مهارة، وحمّلهم عبء الوقوع:

«حينئذ ذهب الفريسيون، وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة !! فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيرودسيين قائلين: يا معلّم، نعلم أنك صادق، وتعلم طريق الله

بالحق ولا تبالي بأحد ، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس ، فقل لنا ماذا تظن : أيجوز أن تعطي جزية لقيصر أم لا ؟ ».

يا سبحان الله ... (يصطادوه بكلمة) ! هذا الذي يتكلّم المواعظ الطوال فيصيب الهدف وكأنّه يعزف على أوتار القلوب ، يقع في كلمة !! لو لم يكن الروح القدس يحميه بعصمة المرسلين ، لحقّ لبلاغته أن تحميه ...

وهذا الرصف الطويل من المدح والثناء ، ما باله اليوم يُكال دون حساب !! هل اكتشف القوم - فجأة - أنّ المسيح (صادق .. ويعلم طريق الله بالحق .. ولا يبالي بأحد ، لأنه لا ينظر إلى وجوه الناس) !!

ولكن لا يخفى المكر السيئ على الرسول الموهوب المعصوم : «فعلم يسوع خبثهم ، وقال : لماذا تجرّبونني يا مراءون ! أروني معاملة الجزية ..

فقدّموا له ديناراً ، فقال لهم : لمن هذه الكتابة ؟؟ .. قالوا له : لقيصر .

فقال لهم : أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله !

فلما سمعوا ... تعجبوا ، وتركوه ، ومضوا »!!

وفشلت المؤامرة المدبّرة : «راقبوه ، وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار ، لكي يمسكوه بكلمة حتى يُسلموه إلى حكم الوالي وسلطانه ... فلم يقدروا أن يمسكوه بكلمة قدّام الشعب! » (مت ٢٢ : ١٥-٢٢ ، مر ١٢ : ١٣-١٧ ، لو ٢٠ : ٢٠-٢٦).

إذن فليحملوا هم إثم الجريمة كلها ...

«فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً ، وقالوا : ماذا نصنع ، فإنّ هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة ، **إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمّتنا** ! فقال لهم واحد منهم - وهو قيافا - كان رئيساً للكهنة في تلك السنة : أنتم لستم تعرفون شيئاً ، ولاتفكّرون أنّه خير لنا أن يموت إنسان

واحد عن الشعب ، ولا تهلك الأمة كلها ... فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه ، فلم يكن يسوع أيضاً يمشي بين اليهود علانية ، بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البريَّة إلى مدينة يقال لها أفرايم ، ومكث هناك مع تلاميذه . وكان فصح اليهود قريباً... وكان أيضاً رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدروا أمراً : أنَّه إن عرف أحد أين هو ، فليدلّ عليه لكي يمسكوه » (يو ١١ : ٤٧-٥٧) ..

وهكذا اختار أحبار اليهود أن يكونوا عصابات للخطف والاغتيال !!

«... كان بيلاطس يطلب أن يُطلقه ، ولكنّ اليهود كانوا يصرخون إن أطلقت هذا فلست محبًّا لقيصر ! كلّ من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر .. قال لهم بيلاطس : أأصلب ملككم ؟؟ أجاب رؤساء الكهنة : ليس لنا ملك إلا قيصر » (يو ١٩ : ١٢ ، ١٥) .

مرحى للكهنة والفريسيين ، لقد صاروا (قيصريين) أكثر من عامل قيصر !!

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة : ٧٨ - ٨١] .

كنت أتأمّل تاريخ بني إسرائيل في الأناجيل المتداولة وفي القرآن .. فأزداد بصراً بعلّة تحوّل الرسالة - على يد محمد - من بني إسرائيل ، إلى بني إسماعيل ..

فالعرب - في جملتهم - قوم بسطاء فيهم سماحة البداوة ... فيهم شجاعة الرأي وشجاعة القلب ، أصفياء من عُقَد الصولة والصولجان ، ومن عاهات الأحبار

والكهان .. الواحد منهم إما أن يكون معك أو عليك ، فمن كان معك فهو معك بكل ما يملك ولو حارب الخلق أجمعين ، ومن كان عليك فهو مجاهر بالعداء سافر في الخصومة ، ويوم يقتنع فهو يتحوّل بكل إخلاصه وكل قواه من طريق إلى طريق ، دون اضطراب أو التواء .

وهذا صوت المسيح يسجّل على بني إسرائيل هذا اللجاج في التكذيب : «إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقًّا ، الذي يشهد لي هو آخر - وأنا أعلم أنّ شهادته التي يشهدها لي هي حق ... لأنّ الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها - هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أنّ الآب قد أرسلني .. فتّشوا الكتب لأنّكم تظنّون أنّ لكم فيها حياة أبدية - وهي التي تشهد لي ، ولاتريدون أن تأتوا إليّ لتكون لكم حياة ! مجداً من الناس لست أقبل ، ولكنّي قد عرفتكم أن ليست لكم محبة الله في أنفسكم . أنّا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني ... لا تظنّوا أني أشكوكم إلى الآب ! يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم ، لأنّكم لو كنتم تصدّقون موسى لكنتم تصدّقونني لأنّه هو كتب عنّي ، فإن كنتم لستم تصدّقون كتب ذاك فكيف تصدّقون كلامي » (يو ٥ : ٣١-٤٧) .

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء : ١٦٦] .

ويتجاوب مع هذه الترنيمة الشاكية عزاء القرآن لرسول الإسلام : ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾ [الكهف : ٦ - ٨] . ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝٣٣ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ

جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنعام: ٣٣ - ٣٦] . .

كان الطبيعي إذن أن تتحوّل رسالة السماء عن اليهود ... وكان من الطبيعي إذن أن تكون وجهتها الجديدة هي العرب - أولاد عمومة بني إسرائيل في الأُرُومة الساميّة ...

ولقد لقي رسول الإسلام ما لقيه ، على أيدي حفنة محدودة من اليهود حين انتقل إلى المدينة - فكيف لو كان قد بُعث لهم وبين ظهرانيهم ؟؟

وليس معنى هذا أنّ العرب - وقريشاً بخاصة - قد فتحت ذراعيها لدعوة الإسلام .. ولكن الإسلام واجه عند العرب تحدّي الرجال الصرحاء الشجعان ، في حين نجد خصومة اليهود خصومة الختل والدسّ والغدر والالتواء !!

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة : ٧٥ - ٨٠] . ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ

مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة : ٩١] . ﴿.... وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ **لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ** وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران : ٧٥] . ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة : ٦١ - ٦٣] .

هذه بعض أوصاف اليهود في القرآن ، وتُعَزِّزُها أوصافهم في الأناجيل المُتداولة ، فهل يطيق هؤلاء الأدعياء المتعالون المتغطرسون رسالة جديدة ؟؟

لقد حسبوا أنفسهم قد أحاطوا بالحكمة من أطرافها ، وأحرزوا الخيرات من كل أبوابها ، وتميّزوا على سائر الأمم والشعوب إلى يوم الدين !! .

ولقد لقى منهم المسيح - ورسالته هي شريعة الحب وحسب - ما لقى من عنت وإيذاء ، فكيف (بمحمد) الذي سوف يكون صاحب شريعة مفصّلة ، وأحكام مبيّنة ، تنال ما سبقها من الشرائع بالتعديل ، أو الزيادة والنقصان ؟؟

حسبك أن تقرأ هذه السورة القرآنية لأحاسيس قلّة من اليهود كانوا (بطانة) للمسلمين لتتعرّف على حكمة الله وتحمد نعماءه : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران : ١١٨ - ١٢٠] !.